

روعة ما حدث . حتى نهضت أريتا الملكة ، ذات
الذراعين العاجيتين ، فقالت : «أيها الفياشيون كيف
أنتم وهذا المهاجر النبيل الذي زادت الآلهة بسطة في
العقل والجسم ، وأضفت عليه هذا البهاء ، وذات الرواء ؟
إنه ضيف ، بيد أنكم تشركونني في ضيافته والاحتفاء
به ، تخليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، بل
حرى بكم أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ،
وتقدموا له أطرف الهدايا وأعز الثياب ، وتقيموا عليه
مما حببكم السماء . فكلكم غني جم الغنى ، ثرى
واسع الثراء » . وتكلم البطل إكخيوس ، أكبر
أمراء فياشيا وأتقدمهم : «إن ملككم ذات
المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة فحسب ،
بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سني . فخذنا
لو أصختم وصدعتم ... على أن كل شيء هو رهين
بعشيئة الملك ، فليز إذن رأيه . » وقال الملك : «إني
أوافق على ما رأت الملكة . زهرة فياشيا سيده البحار
ليبق الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحده من الشوق
إلى بلاده ، حتى أسمع عليه ، وأدبر أمر عودته التي
يعني بها الجميع » وكأنما صادف مقال الملك هوى
في فؤاد أودسيوس فبهض وقال : « ألكينوس :
يا ملك فياشيا العظيم : بودي لو بقيت هنا عاماً بأكمله
ليتم الملك نعمته علي ، وليدبر أمر عودتي سالماً إلى
أرض الوطن ... فما أجل أن أعود بالمعطايا والهدايا
والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم
وأنال محبتهم بعد طول النأى وفدح البعاد »

فأجاب الملك : « لله ما أروع ما حدثت
يا أودسيوس : ويكأنما حدثت بلسان ساحر عليم بهرج
القصص ويوشى الأخبار ، ويزوق ويزوق ، في
زكاته وفعالة وحذق وترتيب : أبدأ ما حملت هذه



الأولاد نيسبر

لهو مبروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصل من الفصل السابق

« أبحر أودسيوس إلى الدار الآخرة (هيدز)
ليلقى نيرزياس السكهن الطيب كي يعرف له عن عودته
إلى بلاده . فبعد أن ضحى لأنه الموت وزجه وجزر
الغرايين للأشباح الهائمة في دار الفناء أقبل إليه نيرزياس
فأخبره بما سعى إليه ، ثم رأى شبح أمه فكلمها
وقد أخبرته بما تم في بيته من أحداث وضأته على
وفاء زوجه بلوب وعدم خضوعها لما أراد العشاق
قسرها عليه وحدته عن ابنه نيكوما أخذ نفسه به
من صيانة ممتلكات أبيه ثم أنبأته عن والده الرجل
الشيخ الذي اعتزل الدنيا في ركن سحبق من حقوله
يا كيا على أودسيوس . وقد لقي أودسيوس طائفة من
عذارى اليونان وأزواجهن اللاتي توفين في غضارة
الشباب ونضارة العمر فكلمنه وروين له قصصه . وهو
يسرد فيما يلي طائفة أخرى من مشاهداته في هيدز »

أودسيوس يروي قصته (٢)

وسكت أودسيوس ، وصمت الجمع المحتشد في
الردهة الملكية فكان على رؤوسهم الطير من

الأرض ألب منك ولا ألبق في رواية وتحديث ؛
وأبدأ تساكبت الموسيقى والنغم الحلو من لسان
كلسانك الذرب الحبيب ؛ ولكن ماذا عندك من
أخبار الأبطال الأغريق ، الصيد الصناديد ، الذادة
المذاويد ؟ حدث يا أوديسيوس ! قل ، قص علينا
أخبارهم ؛ أرايت أحداً ممن شهد معك وقائع طروادة ؟
إن الليل ما يزال في عنفوان يا صاح ، وما بأعيننا
من سنة فناوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛
هلم فحدثنا ، فبنا من حديثك شغف ، وكلنا إليه
شوق ، ولو حدثت حتى مطلع الفجر ، إن لم ينل
منك وصب أو يعبك ملال »

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فياشيا الملك
الكنيوس ! ما يزال في الوقت متسع للحديث وللنوم
معاً ، وإن شئت حدثتك طائفة من الأحاديث عن
أبطال الأغريق سواء منهم من نوى تحت أسوار
طروادة ومن أفلت من الموت ثمة فترصده المنايا في
أرض وطنه ، صيباً من كف زوجة الأثيم الزنيم !
إليك إذن ... وحينما هتفت برسفونيه - ربة هيدز -
بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكبيكن واثنتين
عنى إلى ظلمات دار الفناء ، بدا لي طيف أجا ممنون
- بن أترپوس - ومن حوله كوكبة من أشباح
الذين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس ... أهرع
إلى الدماء فرشفت منها رشقات ، ثم نهض فعرقي ،
وكلما شاعت فيه رعدة من الدهشة والذعر ،
وتحدثت دموعه الحرار السخينة فوق خديه ، ثم
مد إلى ذراعيه يود لو عانقني ، ولكن ... والأسفاه !
وهل يعانق الشبح إنسياً ؟ ! ونال مني الحزن
فكسيت لهذا المنظر القادح الأليم ، وقلت أكله في

أسلوب بائس وعبارة باكية : « ويحك يا ابن أترپوس
يا ملك الدنيا العظيم ؟ ! ماذا جرعتك كأس المنايا ؟
خبرني ! هل جرعتها في قرار أليم مفارقة بيد نبتيون
أم فوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ،
أم قتلت وأنت تحارب من أجل بنات أخايا إذ هن
محاصرات خلف أسوار مدينتهن ؟ ! » فقال يجيني :
« أوديسيوس الزعيم النبيل ؛ يا ابن ليرتس الحكيم :
أبدأ ما مت مفارقة بيد نبتيون ، ولا فوق ظهر
الأرض في حومة حرب زبون ، بل ذبحني اللثيم
إيجستوس بعد أن دبر غيلتي مع زوجتي الآثمة ،
حين ملق^(١) لي وبالع جهده في الاحتفال بي ، ثم
ذبحني كما يذبح الثور في مذوده ، وكر على رجال
فذبهم كما تذبح الخنازير لوليمة في عرس أو في حفل
لزعيم عظيم . أوه أوديسيوس ! لا جرم أنك قد
شهدت ألف معركة ومعركة جندلت فيها أبطال وراء
أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك الحديث
الرهيب ! لقد هوبنا تتخبط في دماننا التي ضرجت
الأرض ، تحت أخاوين^(٢) حافلة بأطيب الآكال
وأشهى الأشربات ... ثم ... جالجت في أذني
الصرخة الرهية ، صرخة ابنة بريام ، فكانت ما
أروع وما أفدح ! لقد انبطحت على الأرض إلى
جانب كاسندرا ، قتيلة بيد زوجتي كليتمسترا ...
ومع ذاك لم أفقد الأمل يا صديقي بل حاولت أن
أمتشج جرازي ، لكن الخائفة انسحبت كالأفمى .
ولم تعبأ بي ، بل لم تشأ أن تغمض عيني ، أو تسند
ذقني ، في اللحظة التي أوشكت أطرق فيها أبواب
هيدز ؟ ! وبلاه ! ويلي على المرأة التي طاوعتها يداها

(١) ملق فلاناً وملق له تودد .

(٢) أخاوين وخون وأخونة جمع خوان .

فأتت هذا المنكر ، وارتكبت إثم قتل زوجها
ورفيق صباها ! !

لقد حسبت حين عدت أدراجي أنني سأقابل
بالأهل وبالسبل ، من أبنائي وأهلي وحاشيتي ،
ولكنها ... الفاجرة الغادرة ، التي برزت بفجورها
كل صنوف الفجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار
والخزي ، بل هي قد سحبت أذيال العار والخزي على
كل أنثى لم تر النور بعد ، وعلى كل الصالحات
الطيبات من بنات جنسها .

وسكت أجائمون ، فقلت بدوري : « يا سماء ! !
ما أقسى ما قضت يد زيوس على بيت أثريوس ، منذ
البدء ! كما من الأنثى : ! الأنثى دائماً ! لقد قتلنا في
غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين ^(١) ؟ وتدير لك
كلية منسرا تلك الفعلة بينما أنت نازح بعيد عن
ديارك ! ! »

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين
عريكته لامرأة قط ، وألا تجعلها موضع شرك
ومحل ثقتك ، بل إن أسررت لها بشيء ، نجبى ،
عنها أشياء ، هذا وإن تكن زوجك وفيه خالصة
لك ، لا يخشى عليك منها رهن ، ولا غدر كهذا
الغدر ، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب ذات الحصافة
واللب ، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها
إلى اليوم ، وعلى صدرها الوفي ولدك الحبيب ، الذي
شب ليحمل اسمك ، وبعلى في الخافقين ذكرك ،
والذي ينتظرك لهفان ليضمك إلى صدره يوم تعود
إلى إيثاكا ... وإنك إلى إيثاكا لعائد ، وبذا قضت
الآلهة ... أما أنا فوأسفأ على أورست ، ولدى

(١) التي فر بها باريس وكانت سبباً في حروب طراودة

المسكين ، الذي قتلتي الغادرة قبل أن أتروء منه
نظرة ! اسمع يا أوديسيوس ، إصغ إلى ، إني سأقـ
عليك من كنوز خبرتي وتجاربي ، عليك بالسرف
أوبتك إلى وطنك . واستعن على رحلتك بالكتمان
لأنه لا ثقة في امرأة بعد اليوم ^(١) . ولكن اصدقني
بربك ، أين يأوي ولدي الآن ؟ هل يقيم في بيلوس ؟
أم يشوى في أرخومينوس ؟ أم هو يستدري بذري
جده ، أمى الحبيبة ، في قصرها النيف بأسبرطة ؟
إنه ما يزال حياً يرزق ، ولم يأو بعد إلى دار الظلال
هيدز . » واعتذرت إليه أنى لا أعلم إذا كان حياً
يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز ، وظللنا نتحدث
شجون الحديث ، ونذرف الدموع على كل ذكرى
حتى وافى شبح أخيل البطل ، ابن بليوس العتيد ،
وفى إثره شبح ترّبه بتركولوس العظيم ، وبمقربة
منه طيف أنتيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل
المنوار أچاكس الذي امتاز ببسطة الجسم وجبروت
المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده . . وعرفني
شبح العداء الكبير إياسيدس ^(٢) فقال يخاطبني في
خفة وظرف : « أوديسيوس يا رجل الدهاء والخدع
أى تدبير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيلك السو الف
شيئاً ما ، أنى بك إلى هذه الدار أضيف أنت ؟ أم
هو طيشك وقلة مبالاةك جعلاك تغرب في دياجير
هيدز ؟ هيدز الرهيبة بيت الأرواح والظلال
والأشباح ؟ » ووجهت الجواب عن تساؤله إلى أخيل
فقلت : « أخيل ! يا ابن بليوس العظيم ، يا أشجع أبناء
أخايا قاطبة ، لقد سمعت إلى هنا لألقى الكاهن الطيب
(١) وهكذا عاد فاستمسك برأيه في النساء حتى في بلوب
(٢) قد يكون أخيل .

وعز ، وتجليك الناس كأحد آلهتهم ، وها أنت تحكم هنا وتنهى وتأمر على جميع هؤلاء الموتى ، فما أجدر بك ألا تأسى لأنك مت هذه الموتة في الدار الأولى » وأجابني على الفور : « أودسيوس ياذا الذكي ، لا تخالنّ عزاء يخفف من وطأة الموت ! لقد كنت أوتر لو أعيش في الدنيا كأحقر الأجراء الأذلاء ، وأتبلغ بلقمت قليلات لا تقيم أود الشيخ الفاني ، على أن أقيم هنا مملكا في جميع هذه الأشباح والتهاويل ! ! ولكن تعال ! هلم فحدثني عن ولدي الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتي الحربية ، أم هجر السيف وطلق المعمة ؟ وحدثني عن أبي بليوس الكريم ، أما يزال يتمتع باحترام الناس وتبجيلهم وحب الميرميدون ^(١) وفدائهم ، أم تجرد من الأبهة ونزل على حكم الشيب والكبر ، والأيام التي أوهنت عظامه ؟ أو اه يا أبتاه ! ليس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؟ أو اه لو وسعني أن أعود إليك لحظة ، إذن أقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأدغمت كل جبار عصي على تمليقك وذل العبودية لك بدل الثورة بك ، وقلة الاحتفال بشيخوختك . » وقلت أجيبه : « أنا لا أعلم لي بما كان من أمر بليوس أليك ، ولكني ذاكر لك ما تراهي إلى من أخبار ولدك نيوبتلموس لأنني حملته على سفائني من سكيروس إلى الجيوش تيرزياس ليعرف كيف أصل إلى شطآن إيثاكا الصخرية لأنني عييت بالزوابع والمواصف في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادى .. إنني أغبطك يا أخيل من أعماقي ! فلقد عشت في هنا ،

(١) يحسن بالتقاربي أن يذكر أن أخيل قتل قبل سقوط طروادة .

كبير الآلهة ، الذي ماينفك يصب لعنته على جيوش
 آخايا ، هو الذي قضى عليك بالموت . أيها البطل
 هلم نحوى كيما تسمع إلى الكلام الطيب الذي أجهد
 أن أترضاك به ؛ لتخمد جذوة الغضب على في نفسك ،
 ولتجسم ما بيننا من خصام : « بيد أنه ما حرك شفتيه ،
 بل لوى عنانه وانخرط في جماهير الأشباح الهائمة ،
 وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدرى شوقاً إلى
 تكليمه تنطفيء رويداً ... فقلبت نظري في الأرواح
 القريبة عسى أن أعرف منها أحداً فأحدث إليه ،
 فلدحت بينها ميتوس سليل جوف الأكبر ، وكان
 يجلس على عرش ممرد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه
 صولجانه الذهبي الثمين ، ومن حوله زرفت جموع
 سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ، ومنهم
 المنتصب يشرح للقاضي شكواه ، ويبته بلواه ، بينما
 قد أهطعت الرؤوس وانحبست النفوس ، وتكأ كأت
 الموتى عند البوابات الكبيرة الهائلة تنتظر دورها ...
 ثم راعنى أن أرى بين تلك الجموع أوريون الجبار
 يسوق قطعانه التي ذبحها بيديه في الدار الأولى ،
 وهو يرعها على أوراق البرواق ... ورأيت فيمن
 رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه الغبراء ، وقد كان
 منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفدنة ؛
 وعلى كل من جنبيه أفعوان هائل أرقمى يفتدى
 بحضن من كبده الكبير الدامى ، وينقب من
 أحشائه الغيلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل لاتونا
 اللعوب الطروب ، عشيقة جوف سيد أولمپ ، التي
 فرت من وجهه في بطائح يبتو إلى فراديس بانوبيوس .
 ثم رأيت تانتالوس في ضعف من العذاب ؛ رأيت
 يتخبط في عين حمئة من حيم ، وقد غاص فيها إلى

علينا ، وأبنا منها بالغنائم والأسلاب والسبي نظرت
 إليه قبل أن يبحر فما وجدته يشكو رَمِيَّةً ، ولا
 يئن من جرح ، ولا أثر في جسمه لخدش مما تصنع
 الحرب ، وما ثبت فقال مارس . »

وزهي أخيل من كثرة ما أثبتت على ولده فراح
 يتخايل ويدل وسط شجر البرواق^(١) ... وكانت
 جموع من أشباح الموتى تملأ الربح ، وقد جلس
 كل أو هام على وجهه يبكي ويشكو بشه لغير سميع ...
 وقد رأيت بينهم شبح صديق التيلاموني - أجاكس -
 وكان يحدجني في الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ
 أن يكلمني ! ! آه ! إنه ما يزال ينقم عليّ ما شجر
 بيني وبينه من نزاع على عدة أخيل (بعد مقتله) ،
 وما كان من طلب زيتيس^(٢) ألا بليس دروع ولدها
 سوى ، ثم ما كان من تأييد ميترفا للأم الرؤوم فيما
 طلبت . لقد كان انتصاراً لي ، كم كنت أوتر ألا
 يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أجاكس
 العزيز ، أجاكس المغوار ، الذي لم يكن فينا من هو
 أشجع منه إلا أخيل نفسه ... ولقد وجهت إليه
 ألين الخطاب لأقل من سورة غضبه . فقلت له :
 « أيها العزيز أجاكس ، يا ابن تيلامون المجيد ، أما
 تستطيع أن تغضى ، وأنت في الدار الآخرة ، عما
 شجر بيننا بسبب هذه العدة المشؤومة ؟ لعنتها الآلهة
 من عدة كتبت فوقها صحيفة موتك ، نخسرنا فيك
 أشجع فرساننا وأعظم مقاتلينا ؛ إنا ما نفتأ نبكيك
 ونشكو رزاًنا فيك ، ونعد فقدك كفقداً أخيل
 نفسه ؛ ولكن لا تثرِب على أحد قط ، فجوف ،

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد
 ذكره الفيروز آبادي .

(٢) أم أخيل وهي إحدى عرائس الماء .

ذقته ، والوج يضرب وجهه ويسعفه ، وهو مع
ذاك يلث من الظمأ ، لا يجد ما يبل به غلته ، أو
يطفىء جُوداه وصداه ! فهو إن حتى رأسه غمره
الحجم ، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه
بأمر ربها ، فهو في عذاب مقيم . . . ولله أشجار
الفاكهة دائية قطوفها فوق رأسه ، من رمان حلو
وتفاح عطري ، وتين معسول وزيتون ، كلما انتهى
أن يقطف ثمرة وكاد ، هبت الرياح عاتية فذهبت
الفصون عالية في السحاب . . . ثم رأيت
سيسفوس ذا الأنياب يضني ويشقى ويتعذب ؛ يدفع
أمامه حجراً جلوداً عظيماً فيجعله في رأس جبل ،
حتى إذا انتهى إليه غاضت الأرض من تحته بقوة
خفية فكانت بئراً عميقة ، فيهوى الحجر من عل ،
فيعود المسكين إلى نَصَبه عوداً . . . على بد ،
ويتحدر عرقه على جسمه العظيم ، ويتبخر من
رأسه كأنما ينقذف من بركان ! . . . ثم شهدت
هرقل الحديدي القوى الجبار . . . شبحه فقط ،
لأنه هو قد منح بركة الآلهة وخلودها ، فهو أبداً
يحضر ولائهما في شفاف الأواب . . . شهادته
يحتضن ابنة خوف الجميلة المقتان ، هيب ، ذات
القدمين الناصعتين ، والفعلين الذهبيتين ؛ رأيت
وأشباح الموتى ترف من حوله صافآت كالطير ، ثم
يقبضن . . . وراعى أن أراه عابساً كالحأ كقطعة
من الظلام ، وقد حملق بعينه في الأرض وفي يديه
قوسه وسهامه يوشك أن يرميها ، وعلى وسطه حزامه
الرائع الموه بالذهب ، وقد نقشت عليه صور مئات
من الدية والدؤبان والسباع ، يتقدح الشرر من

عيونها وتداب في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعة
معجزة لم يقدر على مثلها أحد من قبل ولا من
بعد . . . وما كاد يتبينني حتى عرفني ، وظل يقلب
في عينيه السادرتين ، ثم قال لي : « آه يا ابن ليرتيس
النبل ذا المجد ما أتمسك ! ! ما أظنك إلا معنياً
ببعض المجازفات التي كنت أشغف بها في حياتكم
الدنيا . . . ها أنت ترائي هنا ، في ظلمات هيدز ،
عبداً رقيقاً لإله أحقر مني شأنًا وأقل قدراً ، لأنني
وأنا ابن جوف الأعظم ، قد كتب علي أن أشقى
هنا لأصل آلام الحياة ولأواءها . . . أتصدق أنه
يأمرني أحياناً أن أسوق كلبه ، مع ما في هذا الأمر
من سخرية وتحقير ؟ ولكني لن أنسى أني جذبته
من مملكته هيدز إلى نور الحياة الدنيا بمساعدة أخي
هرمز ، وعمونة مبرقا ذات العينين اللازورديتين »
ثم هام على وجهه في ظلمات مملكة بلوتو . . . ثم
تلبث أنا مكاني راجياً أن ألقى غير من لقيت من
أرواح الأبطال الذين عرفتهم في الدار الأولى ،
أولئك العظماء ذوي العزة والمجد . . . وكم وددت أن
أرى بيريثوس وثيديوس سليلي الآلهة . . . بيد أن
جوع الموتى الحاشدة التي أقبلت تصرخ قدفت
الرعب في قلبي . وخفت أكثر أن ترسل برسفونيه
ملكة هيدز ، رأس الجرجون من ظلمات هيدز
فتفعل بي الأفاعيل . . . فأثرت أن أسرع إلى
مركبي ، وأمرت الملاحين فأقلعوا ، وجلسوا على
الظهر ، وحملنا تيار سريع عبر البحر المحيط بعد أن
أعملنا المجاذيف وقتاً غير طويل .

در بنى هيب

« بنع »